صحبة رسول الله ﷺ

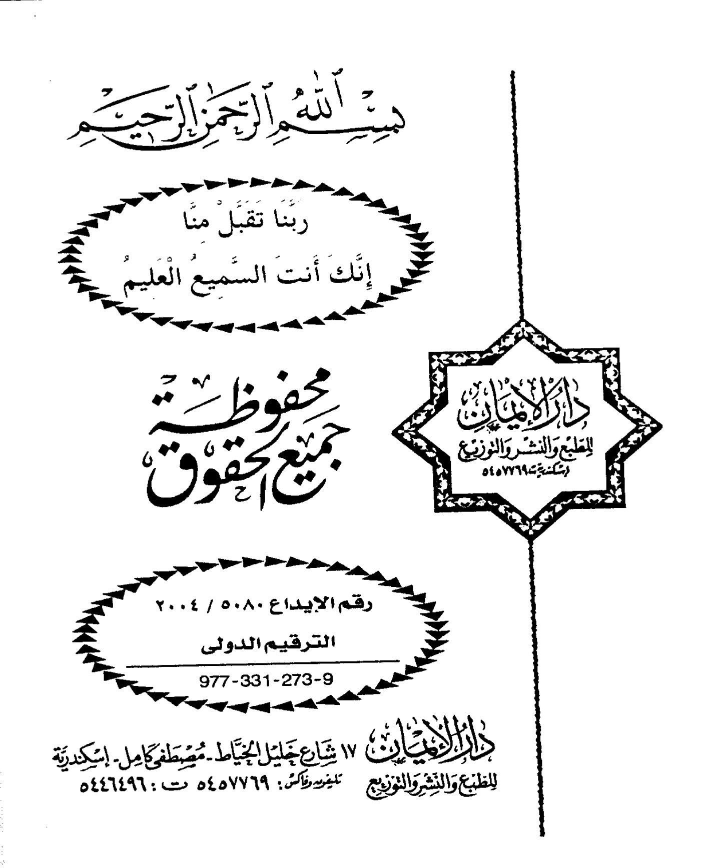
تأليف
صالح بن عبد الله الدرويش
القاضي بالمحكمة الكبرى بالقطيف







صحبة رسول الله ﷺ



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ٥٠٨٠ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى
977-331-273-9

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

المقدمة

إن الحمد لله نحمده سبحانه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له.. أما بعد فإن الأمة الإسلامية تعيش صحوة مباركة أسأل الله سبحانه أن يجعل ثمارها يانعة، ولا يمكن أن يدع الكفار الأمة تصحو وإن صحت فسوف يمنعونها من النهوض. ولن تنهض إلا بعد أن تصابر الأعداء، وتصبر الصبر كله بأنواعه، وتتقي الله ربها، حينئذ تنال الأمة الإمامة والقيادة وتكون نهضتها مباركة بإذن الله تعالى.

ومن كيد الأعداء استغلال افتراق الأمة وشتاتها، واختلاف شعوبها وقيادتها، ومن أهم أسباب الاختلاف وهو وقوده ومادة اشتعاله: ذلك الركام التاريخي الهائل،

وقد أجاد القصاص فن سبكه وحبكه، وأتقن أصحاب المصالح استغلاله في تحريك العواطف وكسب التأييد، وتحريك الجماهير، وكسب الأموال، وأصبح الرصيد التاريخي السُّلَّم الذي يرتقونه ليصلوا إلى أهدافهم.

وينبغي على المسلمين لاسيما طلبة العلم بيان الحق والذب عنه وعودة أهل الإيمان إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ونبذ الفرقة وإفشال خطط الأعداء في تمزيق الأمة وجعل بأسها بينها.

ولا يخفى على القارئ الكريم بأن الشرارة التي جعل منها القصاصون ناراً ما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وإسهامًا في تجلية الحقيقة والدعوة إلى الله تعالى كتبت هذه الرسالة للمسلمين عامة رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً. على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، مع الحرص على الأدلة

العقلية والنقلية لاسيما مع القرآن الكريم مع إثارة العواطف والإقناع العقلي لعـل الله سبحانه وتـعالى أن ينفع بذلك. والصواب من توفـيق الله وأستغـفر الله من تقصـيري وكل ذنب وخطيئة.

وأملي في القارئ أن لا ينســانا من الاقتراحات المفـيدة، والتوجيهات السديدة.

كتبها

صالح بن عبد الله الدرويش

القاضي بالمحكمة الكبرى بالقطيف

ص.ب. ٣١٩١١

من مهام الرسول ﷺ

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٢٩).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الجمعة: ٢).

نصوص صريحة وواضحة الدلالة على التلازم بين الرسول ﷺ وأصحابه الكرام[١]، ومن مهام الرسول ﷺ التي لأجلها أُرسل ما ذكره الله عزَّ وجلَّ هنا، وهي من الواجبات الشرعية عليه ومن الحكم البالغة في رسالته وقد

---

(١) القول المختار في الصحابي أنه من آمن بالنبي ﷺ وصحبه ولو فترة من الزمن ومات على ذلك ولطول الصحبة أثرها في المنزلة.

قام الرسول ﷺ بذلك خير قيام. أنقذ اللهُ به الناس من الضلال المبين، ومن الشرك والكفر إلى الإيمان والتوحيد.

نعم عاش رسول الله ﷺ بين قومه في مكة وبعثه الله فيهم ولا تجد بطنًا من بطون قريش إلا وللنبي ﷺ فيهم قرابة، وحتى الأنصار!! منهم أخوال عبد المطلب جد رسول الله ﷺ بنو النجار، قال الله تعالى: ﴿ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾.

نعم اختار الله للمصطفى ﷺ أشرف نسب فجعله من ذرية إبراهيم عليه السلام، وبعثه في خير البقاع مكة المكرمة، والنبي ﷺ دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام، وهو سيد ولد آدم ﷺ ولا فخر، وصاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة الكبرى يوم القيامة، والمنزلة الرفيعة، وسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خير البشر وإمام المرسلين أجمعين باتفاق الأمة ولله الحمد والمنة.

ومن كمال نعمة الله على الرسول ﷺ أن اختار الله له خير الأصحاب فهماً ورجولة وشجاعة، ولا غرو في ذلك فهم أقاربه وعشيرته، خير الناس نسباً، وأكرم الناس خلقاً. وكما قال الرسول ﷺ: **«الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»**[١].

ولا يخفى عليك بأن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى رسول الله ﷺ منهم، فهم أصحاب الشعب الذين حوصروا فيه مع النبي ﷺ وهم الذين لا تصح لهم الصدقة ومنهم آل الرسول ﷺ ومنهم اختار الله محمداً ﷺ رسولاً للعالمين.

أخي القارئ الكريم تأمل وتدبر: قال الله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، وهم من خيرة الناس وقد قام الرسول ﷺ بتربيتهم وتزكيتهم. فهل يُعقل الطعن فيهم؟؟ وتأمل في تقديم التزكية على التعليم! فهي لفتة لُغوية لها دلالاتها.

---

(١) البخاري (٦/٢٩٨)، ومسلم برقم (٢٥٢٦)، باب خيار الناس.

وقال الله تعـالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾. وقد فعل الرسول ﷺ الواجب عليـه، فهل يمكن لعاقل منصف يخاف الله أن يصف طلاب الرسول ﷺ بالجهل؟!

أيها القارئ الكريم: لا تعجل وقف مع الآيات وتدبر في معانـيها ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ﴾ (سورة الجمعة:٢)، وتأمل في الآية بعدها: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾، فإن صـحبة الرسـول ﷺ نعمة كـبرى وفضل من الله تعالى، نعم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وبها فاز الصحابة رضي الله عنهم، وسبقوا غيرهم..

نعم إنه الترابط بين الرسـول ﷺ وأصحابه الكرام الذين عاش بينهـم ومعهم، وفي مـقدمتـهم أهل بيتـه الأطهار، وزوجاته أمهـات المؤمنين رضي الله عنهن، يفرح الرسول ﷺ بالجلوس مـعهم، ويأنس بهـم، وهم جنده ووزراؤه، وطلابه الذين أخذوا العلم عنه، وبينهم عاش وعندهم مات ﷺ.

نعم إن الذين يحبون الرسول ﷺ وبه يقتدون يعتقدون بأن الرسول ﷺ أدى الأمانة وبلغ الرسالة وقام بما أمره الله به، ومن ذلك أنه بلغ أصحابه العلم وزكاهم، وهم الذين أخذوا القرآن والسنة من رسول الله ﷺ مباشرة، وعنهم أخذ التابعون، والحكم بعدالتهم من الدين، ومن الشهادة بأن الرسول ﷺ قام بما أمره الله به.

والطعن فيهم يعني الطعن بإمامهم وقائدهم ومعلمهم سيد المرسلين ولا حول ولا قوة إلا بالله!

فكر وتأمل:

فإن القضية فيها تلازم لا محالة. لذا فإن توجيه اللوم وتخطئة الناقد لأصحاب رسول الله ﷺ أو الناقل هي عين الصواب باتفاق العقلاء وإليك شرح ذلك باختصار.

تأملات

لا تعجل آيها القارئ الكريم وتأمل معي: إذا خلوت بنفسك أو مع من تثق بعقله فتفكر وتأمل وهذا من الدين.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ (سورة سبأ: ٤٦).

أرأيتم لو أن رئيسًا لبلد أو لقومية من القوميات ثم جاء من أتباعه الذين ينسبون أنفسهم له من يزعم أو يقرر بأن هذا الزعيم أحاط به ناس من الانتهازيين، لا بل من الخونة، وممن يحارب فكر المعلم، وهؤلاء الخونة هم أقرب الناس له وهم خاصته، وأهل مشورته وبيته وبينه وبينهم نسب وصهر ورحم، وهم الذين حملوا فكره ونشروه.

تأمل وتفكر، ولا تعجل في الجواب!!

ماذا تقول لو أن ذلك الإمام والرمز مدح أصحابه وأثنى عليهم، وذم من يقدح بهم أو يقلل من شأنهم؟؟. هل يوجد حاكم له سلطان ويُسبُّ مستشاروه ووزراؤه ويوصفون بأنهم خونة وأنهم.. وأنهم... وهو راض بذلك؟؟

تأمل وتفكر!!

ماذا تقول في عالم بذل كل جهده وعلمه في تعليم طلابه الذين صحبوه وعاشوا معه في السراء والضراء وتركوا الأهل والوطن والمال لأجل صحبته وملازمته، والأخذ عنه، والتأسي به، ثم جاء الجيل الذي بعدهم وطعن في هؤلاء الطلاب ووصفهم بالجهل وكتم العلم؟؟

ماذا تقول في العالم الذي أخذوا عنه العلم؟؟

نعم ماذا يقال عن هذا المعلم، وبما يوصف من هؤلاء طلابه وبذل جهده معهم؟؟ هل العيب فيه؟

أو العـيب في الطلاب الذين تركـوا أولادهم وأمـوالهم وديارهم لأجل صـحـبة المعلم والأخـذ عنه والتـأسي به، ومحبـته عندهم فوق محـبة الأولاد والأهل والمال والوطن ودليل فعلهم في هجرتهم إليه. . أو العيب في الناقد الذي طعن في هؤلاء الطلاب ولـم يدر في خلده أن الطعن قـد يشمل المعلم، أو يرجع إليه هو أي إلى الطاعن الناقد؟

تأمل في حال المعلم والطلاب والناقد، وفكر وتأمل!!

أخي القارئ الكريم: تأمل في إمام أهل التربية والتوجيه، وهو القدوة بين الأنام، وصحـبه أتباعه ومـؤيدوه، وعاشوا مـعه السـراء والضراء، الحـرب والسلم، الرخاء والشـدة، وعصفت به المحن معهم، وبلغت غايتها حتى بلغت القلوب الحناجر وهم معه ولم يتخلوا عنه ولم يتركوه، وبه يقتدون.

نعم أخذوا أقـواله من فمـه مباشـرة، وعاشـوا الدقائق والثـواني بكنفه، لم يفـرطوا في مـجالسـه وأنفاسـه، بل يتسابقون إلى شعره وبصاقـه، وتولى المربي بنفسه توجيههم

وتربيتهم، تارة يخاطب الجميع، وأحياناً يخص بعضهم بالموعظة وتجده ينبه المخطئ إذا أخطأ، ويشكر المحسن إذا أحسن، بذل طاقته، واستفرغ جهده ووقته في تربيتهم، ولم يترك شيئًا فيه مصلحتهم ونفع لهم إلا فعله وحثهم عليه، ولا ترك شيئاً فيه مضرة لهم إلا حذرهم منه.

نعم يعجز القلم عن وصف حال المربي مع أصحابه ومحبيه وأتباعه بين يديه وبأمره يعملون وبه يقتدون، يشاهدون تصرفاته وأفعاله، ويسمعون أقواله وتوجيهاته. أخذوا من المنبع الصافي من غير واسطة ولا كدر.

فهل يعقل بعد ذلك وصف هؤلاء بأنهم نكصوا على أعقابهم إلا النادر منهم؟؟ يعني الغالبية لم تنتفع بالتربية والتوجيه!! كل ذلك الجهد ذهب سدى، وباعوا دينهم لأجل مال، من أخذه؟؟. ومن الذي دفعه؟؟.

تقول: لا بل لأجل جاه وشرف ما هو ذلك؟ وهل يعادل شرف صحبة الإمام وخدمته؟ لماذا نكصوا؟ لا أدري.

المهم أن الناقد يطعن في عدالتهم وأنهم غير تقاة، وأقل ما يصف الطاعن هؤلاء الذين تربوا على يد الإمام القدوة بأنهم ضعاف الإيمان، نعم هذا أضعف وصف.

قل لي بربك: العيب في الإمام المربي أم في الذين بذل جهده في تربيتهم، ومدحهم، وزكاهم وعلَّمهم... و...؟ أم العيب في الناقد الطاعن؟؟

لا تتعجل في الجواب فكر وتأمل!!

فكر في جهادهم مع الإمام المجاهد، وصبرهم معه، وبذل أموالهم، بل محاربة أقرب الناس لهم لأجل إعلاء كلمة الله، وميدان الجهاد من أوسع ميادين التربية العملية، شاركوا الإمام في كل ميادين الجهاد: جهاد النفس، وجهاد المال، وجهاد الدعوة، وفي كل أوجه الخير تسابقوا، وبعد أن فازوا ونالوا مرتبة الرضا ورضى الله عنهم بعدها رجعوا .. يا سبحان الله!!

اخي الكريم: لا تعجل اصبر معي قليلاً، وبعد التأمل احكم، ومن معروفك أن ترسل لي كل ما يخطر ببالك من ملاحظات فأنا مستعد للرجوع والزيادة والحذف في الطبعات القادمة - إن شاء الله -، المهم واصل معي القراءة في تأمل واحكم بعد ذلك.

أنت تتفق معي بأن الإمام القائد، القدوة، المعلم، المربي، لا يمكن أن يتهم بتقصير أو ما هو دون ذلك وإذا جعلنا العيب والخلل والضعف في الأتباع وأن عامتهم قد خانوا ولم يستفيدوا، إلى آخر الطعن الموجه لهم فلا شك بأن ذلك يؤثر على الإمام لاسيما إذا قلنا بأن الخونة والجهال هم خاصة الإمام ومن يجلس معهم، وهم الذين أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم فهم الأهل والمستشارون.

وإذا جعلنا العيب في ناقل النقد - الواسطة في النقل ما يسميه العلماء «السند» أو ذات الطاعن الذي تكلم وطعن وهذا هو عين الصواب، وإليك المثال وبعده يتضح المراد.

من المتفق عليه بين المؤرخين أن الإمام علي رضي الله عنه خرج عليه طائفة من جنده أصبح مصطلح «الخوارج» علمًا عليهم، وبعد مناظرات ومناقشات، ونفذ صبر الإمام رضي الله عنه لما اعتدوا على المسلمين الآمنين وقتلوا عبد الله بن خباب بعدها قام الإمام بمحاربتهم.

فهل يسوغ لعاقل أن يتهم الإمام علي بسبب هذه الفئة من جنده، ويطعن في أصحاب الإمام الذين بايعوه وأصبح خليفة للمسلمين ثم شاركوا معه في القتال، هل يطعن فيهم ناقد بسبب فئة من جنده خرجت على الإمام؟

وهل يمكن أن يقال بأن عامة الذين بايعوا الإمام كفار، أو فسقة أو جهال، أو خانوا الإمام بعد وفاته، وغير ذلك من الأوصاف لأجل فئة من الناس قد أخبر النبي ﷺ بخروجهم وأن فيهم علامة، وأنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية.

اخي القارئ: تتفق معي بأن توجيه النقد للإمام علي لا يمكن وكذلك توجيه الاتهام للذين بايعوه انحراف عن الصواب وبدعة شنيعة يخشى على صاحبها، بل بيعة الإمام متفق على صحتها فلا جدال في ذلك، ومن انتقد الإمام أو الذين بايعوه فإن النقد يرجع عليه وتخطئته هي عين الصواب، وإذا هِبْتَ نقد القائل لسمعته ولشهرته فعليك أن تنظر في السند، فقد ينسب نقد الإمام إلى إمام من أئمة الإسلام من باب البهتان والزور، وهذا في غاية الوضوح.

فكر معي وتأمل:

أعتقد أنك تتفق معي فيما قررته سابقًا بأن النقد لا يمكن أن يوجه للإمام علي رضي الله عنه ولا للذين بايعوه وناصروه بل يوجه للناقد أو للناقل عنه.

هل لك اعتراض على ذلك؟ ما هو؟

نعم تتفق معي في هذه النتيجة الصحيحة أليس كذلك؟

مما لا جدال فيه أن رسول الله ﷺ خير من علي رضي الله عنه، وأصحاب رسول الله ﷺ خير الأصحاب، وآله ﷺ خير آل، وما قيل فيما مضى يقال هنا بل هنا أولى وأولى.

الرسول ﷺ هو المعلم، وصحبه الكرام هم الطلاب الذين تعلموا على يديه وفي مقدمتهم آل الرسول عليهم السلام.

الرسول ﷺ هو المربي، وصحبه الكرام هم الجيل الذين تولى بنفسه تربيتهم وفي مقدمتهم ذريته وأهل بيته عليهم السلام.

الرسول ﷺ هو الحاكم، وخاصته من المستشارين والوزراء من أصحابه الكرام لا سيما الأصهار والأرحام.

الرسول ﷺ بلغ رسالة ربه، وصحبه الكرام هم الذين حملوها عنه وفي مقدمتهم آل الرسول ﷺ.

إنه التلازم والترابط بين الرسول ﷺ وصحبه الكرام لا ينفك أحدهما عن الآخر وفي مقدمتهم أهل بيته ﷺ.

توجيه اللوم والتقصير للنبي ﷺ كفر باتفاق الأمة.

حقــائق

تأمل وفكر قبل أن تحكم!

لماذا يحـرص أهل السنة جمـيعًا عـلى عدالة الصـحابة والتشديد في القضية؟

سل نفـسك وفكر في الجـواب. وإلـيك بعض الخطوط العريضة في المسألة التي تفيدك في معرفة الجواب:

الطعن في صـحـابة رسول الله ﷺ يفـتح البـاب على مصراعيه لأعداء الإسلام لماذا؟

أقول: أولاً ـ إذا تم الطعن في صحابة رسول الله ﷺ فإن توجيه سهام النقد والتشهير بغيرهم من باب أولى. نعم من باب أولى لما يأتي:

(أ) الصـحابة رضي الله عنهم أنزل الله في فـضلهم آيات تتلى إلى يوم القيامة.

(ب) مدحهم المصطفى ﷺ في أحاديث كثيرة.

(جـ) التلازم والتلاحم بين النبي ﷺ وأصحابه الكرام لا انفكاك منه فهو المربي والمعلم والقائد لهم... و.... و.. كما سبق بيانه.

(د) لأن المتفق عليه بين الفرق الإسلامية أن الرسول ﷺ سيد ولد آدم وهو إمام المرسلين والأئمة المصلحين فإذا لم يقم عليه الصلاة والسلام بتربية فئة تحمل أعباء هذا الدين وتتمثله سلوكًا، وعملاً، واعتقادًا، فإن غيره لن يستطيع القيام بهذا مهما كانت منزلته.

(هـ) شهد التاريخ لأصحاب النبي ﷺ أنهم قادة الفتح الإسلامي وهم الذين حملوا لواء الإسلام ونشروه وضربوا أروع الأمثلة في حسن الخلق وقوة الإيمان. وغير ذلك من الأسباب التي تجعل منزلة أصحاب النبي ﷺ فوق منزلة جميع أصحاب الرسل والأئمة عليهم السلام.

ثانيًا - من خلال الطعن في الصحابة الكرام ﷺ أجمعين يتم لأعداء الدين الطعن في القرآن الكريم. أين التواتر في تبليغه؟ أين الأمانة والعدالة في حملة القرآن؟

ثالثًا - الطعن في الصحابة هو الطعن في سنة النبي ﷺ المطهرة وسيرته الشريفة؛ لأن الصحابة ﷺ هم الذين رووا السنة والسيرة.

رابعًا - يجد الأعداء ميدانًا خصبًا للقول بأن الإسلام مبادئ ومثل لم يتم تطبيقها ويستحيل الالتزام بها؛ لأن الذين شهدوا تنزيل القرآن، ورباهم سيد الأنام نكص أكثرهم على أعقابهم.

خامسًا - يتم تشويه أمجاد الإسلام وحضارته وغير ذلك من الأسباب التي يطول ذكرها وهي تعينك على الجواب.

ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اللَّهم ارزقنا صفاء القلوب ومحبة النبي ﷺ وآله الأطهار وصحبه الأخيار أجمعين يا أرحم الراحمين.

خاتمة

الفصل الأول

أخي الكريم . . اعلم بأن هذه المسألة في غاية الأهمية، والاختلاف فيها من أهم أسباب افتراق الأمة، وهي مع بساطتها ووضوح الحجة العقلية والنقلية فيها مع ذلك خالف فيها طوائف وفرق فتجد طائفة تكفر الإمام علي رضي الله عنه ومن معه نسأل الله العافية.

ونجد آخرون يكفرون عامة الصحابة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وتجد من يقف في المسألة حائرًا مع أن المسألة في غاية البيان كما لا يخفى عليك، وأن الطعن في الصحابة طعن في رسول الله ﷺ فهو المربي والمعلم والقائد لهم كما سبق بيانه؛ لذا تجب محبتهم، والشهادة بعدالتهم لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وكفى بذلك شرفًا وفخرًا.

اللَّهم ارزقنا محبتهم، والثناء عليهم يا أرحم الراحمين.

أخي الكريم .. الحذر الحذر أن يصدك عن الحق ما عليه الناس، أين عقلك! أين شخصيتك وفكرك؟

لا تقل أبناء الطائفة أو الأهل أو العلماء لهم رأي وأنا تبع لهم!!

فأنت يوم القيامة ستسأل عن نفسك، وستدخل القبر فردًا، فكر وتأمل واسأل ربك الهداية وأنت صادق في الدعاء، والله الهادي إلى سواء السبيل، وتذكر منزلة الرسول ﷺ عند الله، ومنزلة الصحابة عند رسول الله ﷺ، وإن لم تقنع بما مضى فعليك التأمل في الأدلة التالية.

□★●★□



الفَصْلُ الثَّانِي

بعض المواقف
التي عاشها الرسول ﷺ
مع أصحابه الكرام



مطلب

في ذكر الأدلة

أخي الكريم . . إن الدارس للقـرآن الكريم يجـد آيات كثيرة أُنزلت في سيرة الرسول ﷺ وفـيها تفصيل للمواقف التي عاشها وأحكامها، ومـا يتعلق بها، فهل عاش الرسول ﷺ حيـاته منفرداً؟ لا خـلاف بأن الرسول ﷺ عـاش بين أصحابه وأهل بيته الكرام ﷺ أجمعين.

لذا فـإن الآيات التي أنزلت فيـهم كثـيرة جـداً، وإليك عرض سريـع لبعض المواقف وما أنزل فيـها من آيات لكي تدرك التـرابط بين الرسول ﷺ وأصـحابه الكرام، وفـضل تلك الصـحبـة، والفـضل الذي لا حد له لمن عـاش هذه المواقف مع المصطفى ﷺ .



غزوة بدر

أنزل الله عزَّ وجلَّ في أحداثها سورة الأنفال، وقد تضمنت لطائف ودلالات على ما ذكرناه وهي كثيرة نقف مع ثلاث آيات منها. قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (سورة الأنفال: ١١).

تأمل في الآية وتدبر معانيها، فكر في معنى التطهير وإذهاب رجس الشيطان، والآية التي بعدها شهد الله لهم بالإيمان ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

لذا قال الرسول ﷺ: **«لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[١].

---

(١) البخاري (٧/ ١٤٠)، «المغازي» باب فتح مكة وباب فضل من شهد بدراً وغير ذلك، ومسلم رقم (٢٤٩٤) من فضائل أهل بدر.

فائدة هامة: أجمع كل من كتب في السيرة من الذين يشهدون بأن محمداً رسول الله وغيرهم أجمعوا بأن النفاق قد حصل بعد موقعة بدر ولم يكن قبلها نفاق فتنبه لهذا.

أخي القارئ الكريم . . قف وأمعن النظر والتأمل في آخر السورة. فالله سبحانه حكم بأن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض. وفكر في دلالات قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال: ٧٤-٧٥)، الله أكبر هنيئًا لهم إي وربي إنها والله الشهادة من المولى سبحانه للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بالإيمان وتأمل في قوله «حقاً» تأكيد ثم قال سبحانه ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾. فهل لمؤمن أن يطعن بهم مع هذه الشهادة والتأكيدات؟

غزوة أحد

في أحداثها وما يتعلق بها أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه ستين آية من سورة آل عمران وما تضمنته السورة من الثناء على الصحابة يستحق دراسة موسعة ومفردة.

ومن أول آية تجد الترابط بين الرسول ﷺ وجنده والشهادة لهم من الله تعالى بالإيمان قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ .. الآية ﴾ (سورة آل عمران: ١٢١)، ثم تمضي الآيات وفيه بيان لما حصل وحتى في آية العتاب التي فيها أسباب الهزيمة تجد قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٥)، العفو من الله لهم، وتأمل في وصف حالهم بعد نهاية المعركة، بل النصر المبين الذي حصل لهم، وهروب قريش منهم، ورجع المؤمنون بفضل الله.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣-١٧٤)، شهادة المولى لهم بزيادة الإيمان وأنهم اتبعوا رضوان الله، ولا يخفى عليك بأن جميع الذين شهدوا غزوة أحد ساروا مع الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد[١]، هم الذين نزلت فيهم الآيات، وتأمل فيما ذكره الله في ختام الآية مما يدل على سعة رحمة الله.

---

(١) موقع بعد المدينة بعدة أميال على طريق مكة وذلك أن الرسول ﷺ بلغه أن قريشًا بعد انصرافهم من أحد أجمعوا الرجوع إلى المدينة مرة أخرى فنادى منادي الجهاد ولا يخرج إلا من شهد الواقعة فخرج الصحابة ﷺ مع جراحهم وآلامهم ولم يخرج معهم أحد من الذين تخلفوا عن أحد إلا جابر بن عبد الله ﷺ وقد ذكر للنبي ﷺ عذره في عدم شهود أحد وأذن المصطفى ﷺ له بالخروج معهم.

غزوة الخندق

نزلت فيها آيات من سورة الأحزاب ومع قصرها إلا أن فيها تصوير بليغ للترابط بين الصحابة ﷺ مع الوصف الدقيق لحالتهم النفسية، وما أصابهم من جهد وجوع وخوف وحرصهم على ملازمة رسول الله ﷺ .

تأمل في الآيات من(آية ٩) من سورة الأحزاب التي نادى الله بها المؤمنين وذكر نعمته عليهم في تلك المواقف: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (سورة الأحزاب: ٩) الآيات، ثم ذكر المولى نعمته عليهم مرة أخرى بكف يد العدو عن القتال وشهد لهم بالإيمان بقوله سبحانه: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٥)، ثم ذكر الله آيتين فيهما بيان لما حصل لبني قريظة القبيلة اليهودية المشهورة.

فتأمل في الآيات وتلاوتها بتدبر وقف عند قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٢). وفضل الله سبحانه وتعالى واسع لا يمكن أن يقال بأن هذا خاص بأفراد مع الرسول ﷺ.

من هم الذين قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله؟

ومن هم الذين حفروا الخندق مع الرسول ﷺ؟

وتأمل في شهادة المولى لهم بالإيمان وزيادته. وكذلك فضل الله عليهم في الدنيا الذي ذكره الله في هذه السورة.

من هم الذين ورثوا بني قريظة؟ ومن هم الذين حاربوا اليهود؟

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٧).

بعد أن ذكر الله فضله على المؤمنين بفتح حصون اليهود وإنزال الرعب في قلوب اليهود، وقتل اليهود وأسرهم.

هلا قمت بتلاوة الآيات من أول القصة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٩)، حتى النهاية: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (من سورة الأحزاب)، تدبر معانيها وعش في ظلالها، وتأمل التلاحم والترابط بين القائد وجنده والخطاب من الله لهم جميعًا.

☐★●★☐

صلح الحديبية

أيها القارئ الكريم . . لا يخفى عليك بأن رسول الله ﷺ رأى رؤيا ذكرها الله في سورة الفتح: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**﴾ (سورة الفتح: ٢٧) إلى آخر الآية. ورؤى الأنبياء عليهم السلام حق كما تعلم، وكانت هذه بشارة للمؤمنين بعد البلاء الشديد الذي أصابهم في غزوة الخندق. وأخبر النبي ﷺ أصحابه بها ونادى بالمسير إلى العمرة، نعم يريد مكة معتمراً، ونادى منادي رسول الله ﷺ بذلك.

وسار النبي ﷺ بالسابقين من المهاجرين والأنصار وعددهم ألف وأربعمائة مقاتل، تخلف كثير من الأعراب عن المشاركة، ولم يشارك من المنافقين إلا رجل واحد.



فكر وتأمل في الحكمة؟

سار الركب الراشد، وجنبات البيداء تردد معهم صدى التكبير والتهليل.

وقامت قريش بالاستعداد لمنعهم من دخول مكة، وفي الحديبية حصلت البيعة، بايع المهاجرون والأنصار الركب الراشد، بايعوا رسول الله ﷺ على الصبر وعدم الفرار وهي (بيعة الرضوان).

الاشتياق إلى مكة يفوق الرصف، وعندهم البشارة بدخولها، ولكن محبتهم للرسول ﷺ وطاعته والتأسي به والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، هي سمة ذلك الجيل، وأكرمهم الله سبحانه وتعالى بما أنزل فيهم من آيات.

أيها القارئ الكريم . . تأمل وأنت تتلو سورة الفتح وتدبر في معانيها. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**

ويَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (سورة الفتح: ١-٣)، يذكر الله سبحانه فضله على الحبيب ﷺ، ثم يبين المولى عزَّ وجلَّ فضله على الصحابة الكرام وما حصل لهم من السكينة التي أثمرت زيادة الإيمان.

ثم ذكر المولى سبحانه وتعالى بيعة الرضوان، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (سورة الفتح: ١٨).

إنها حقيقة يعجز الإنسان عن وصفها مهما أوتي من بلاغة وفصاحة.

نعم رب العالمين سبحانه وتعالى رحم هذه الفئة المؤمنة وأوحى إلى سيد البشر ﷺ بما حصل منهم وذكر أدق الأوصاف وأخفى الأسرار ﴿ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾.

إن الصحابة بلغوا الغاية في الصدق والإخلاص والحب وطلب رضوان المولى، فنالوا الفوز المبين ﷺ كل فرد منهم بايع تحت الشجرة مكان البيعة يعلم بأنه داخل في الخطاب ويمشي على الأرض وهو يعلم بأنه نال الشرف والسعادة، والفوز المبين في الآخرة والغنائم في الدنيا. تأمل في الآيات! وقل معي كيف يسوغ لعاقل أن يتكلم فيهم؟!

أو قولهم بأن الله عزَّ وجلَّ بدا له السخط بعد الرضا يا سبحان الله!

ولا أطيل في النقاش وأكتفي بالرد على هذه التأويلات بآية من كتاب الله فتأمل في الآية وتدبر في معانيها، وهي في غاية الوضوح والبيان، وفيها شفاء لما في الصدور، والطاعنون في أصحاب رسول الله ﷺ حاروا فيها، وعجز خيالهم نعم حتى الخيال في الرد على الآية، أو وضع

تأويل لها لم يستطع، وارتد خاسئًا وهو حسير، ولم أقف لهم على قول فيها.

ولكن المراء والجدال، واتباع الهوى، منع الناس من اتباع الحق.

وإليك الآية قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ١٠٠).

فتأمل فيها وفي العموم في قوله سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾ من هم؟

جاء البيان بقوله سبحانه: ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾.

نعم الذين هاجروا مع النبي ﷺ والذين نصروا السابقون بنص القرآن فلا يمكن الرد أو التأويل وكن من الصف

الثالث تفز يا عبد الله ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ ، فإن الصحابة أئمة يقتدى بهم رضي الله عنهم[1].

وتأمل في التأكيدات والمبشرات ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ و﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ، وقوله: ﴿ وَأَعَدَّ ﴾ بصيغة الماضي والتمليك ﴿ لَهُمْ ﴾ ، والخلود والتأبيد ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ .

وتأمل في ذكر الأعراب والمنافقين في سياق الآيات نعم لا يمكن لمن يقرأ الآية وهو يؤمن بأن القرآن كلام الله ويفهم لغة العرب لا يمكنه إلا التسليم بفضل الصحابة.

أيها القارئ . . (اسمح لي بالإطالة اليسيرة هنا عند قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي

---

(١) ودليل اتباعهم بإحسان ما ورد في قوله: **﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾** الآية. فعليك بالدعاء لهم. والخلاف في حجية قول الصحابي وفعله من المسائل الأصولية المشهورة وليس هنا محل بسطها.

وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ (سورة الفتح: ٢٩)، نعم ورد ذكر الصحابة في التوراة والإنجيل، وبيان خصالهم الحميدة، وصفاتهم التي تميزوا بها.

محمد ﷺ إمام المرسلين، وأصحابه هم خير الأصحاب ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ حقيقة الموالاة، والإخاء، والتآلف معه في السراء والضراء، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ من الآباء والأهل والعشيرة وذلك لله وهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الدارس للسيرة يُدرك ما وصلوا إليه من محبة وإخاء في الدين، والتطبيق العملي للرحمة بينهم لا حصر لها من: إيثار على النفس: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة الحشر: ٩)، وموالاة صادقة: ﴿فبعضهم أولياء بعض﴾ (سورة التوبة: ٧١)، بهذا وصفهم الله سبحانه وتعالى، والواجب الأخذ بما ورد في القرآن في وصفهم: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وأن الموالاة بينهم والتراحم هو الأصل لأن الله سبحانه وصفهم به

فعلينا الأخذ به وترك ما ذكره أصحاب الأساطير التاريخية، وهذه مسألة في غاية الأهمية عندنا آيات محكمات ويقابلها روايات الله أعلم بسندها ومتنها مضاد للقرآن، فتأمل في الآيات وفيما تعتقد هل هو مطابق للقرآن؟ أم أنت متأثر بالأساطير التاريخية؟

والصحابة هم أصحاب العبادة وهي سمتهم فهم كما قال الله تعالى: ﴿ **تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** ﴾. وهذا الوصف فيه تكريم لهم حيث ذكر أهم حالات العبادة الركوع والسجود والتعبير يشعرك كأنما هذه هيئتهم الدائمة، وهي كذلك لأن محبة الركوع والسجود مستقرة في قلوبهم، وقلوبهم معلقة بالمساجد.

فكأنهم يقضون زمانهم كله ركعاً سجداً والدليل على ذلك قوله سبحانه في الثناء على قلوبهم وصدق نياتهم قال الله تعالى: ﴿ **يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ﴾، هذه مشاعرهم، ودوافعهم ورغباتهم، كل ما يشغل بالهم طلب فضل الله ورضوانه.

فليس للدنيا في قلوبهم محل، وهذه رغبة ظهرت آثارها على محياهم فلا كبـر ولا خيلاء، ولا غرور، بل التواضع والخضوع، والخشوع لله سبحانه وتعالى وإشراقة نور الإيمان على سيماهم، وليس المراد ما قد يتبادر إلى الذهن أن المراد العلامة في الجـبهة التي تكون من أثر السجـود، وليس ثمة مانع من دخـولها[1] بل ذكرها بعض السلف. وتأمل: هذه صفاتهم عند اليـهود في التوراة ومقـابل هذه الصفات ورد في الإنجيل صـفاتهم عند النصـارى فهم أقوياء أشـداء مثل الزرع فهو ينبت ضعيـفًا ثم يشتد وينمو. من المراد بالزرع؟ ومن هـو الـزارع؟

ومن هم الذين يسؤهم حال أصـحاب النبي ﷺ وفعلهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (سورة الفتح:٢٩)، وقد أكد الله المـغفرة لهم وأن لهم أجرًا عظيـمًا بقوله سبـحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة

(١) انظر تفسير ابن جرير وغيره للآية.

الفتح:٢٩)؟ ومن في قوله: ﴿ مِنْهُم ﴾، لبيان الجنس كقوله ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ﴾ (سورة الحج: ٣٠)؟

فتأمل ذلك:

تأمل وفكر وانظر إلى هذه الصور الفريدة في بيان واقع النبي ﷺ وأصحابه الكرام وهذا مثلهم في التوراة والإنجيل، وأنهم رحماء بينهم، وتقرير الموالاة بين النبي ﷺ وأصحابه الكرام حقيقة جاء توكيدها في القرآن في آيات كثيرة كما سبق بيانه، وهي من أعظم نعم الله على الصحابة قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (سورة الحجرات: ٧) الآية.

وهذه السورة فيها دلالات عظيمة على فضل الصحابة وستأتي إشارة لذلك ـ إن شاء الله ـ.

استقبال الوفود

سورة الحجرات فيها آيات في غاية الوضوح على فضل الصحابة وقد اشتملت السورة على كليات في الاعتقاد والشريعة وحقائق الوجود الإنساني فيها بيان لمعالم المجتمع المسلم وتقرير الأخوة الإيمانية ومحاربة كل ما يضادها ويضعف كيانها.

ونقف وقفتين مختصرتين مع الآيات التي تخص بحثنا:

أولاً - الآداب التي ينبغي التأدب بها مع رسول الله ﷺ، وبيان ما عليه الأعراب.

تبدأ السورة بمناداة المؤمنين بوصفهم لأجل التسليم لأمر الله ورسوله وعدم التقدم بين يديه بل عليهم الرضا والتسليم وعدم التعجل في الاقتراحات على الرسول ﷺ،

وعليهم ألا يقولوا في أمر قبل بيان الله سبحانه وتعالى ومن باب أولى الفعل.

وانظر مع الأدب الرفيع مع النبي ﷺ في كيفية الكلام وعدم رفع الصوت وتأمل في التفريق بين توجيه المولى سبحانه وتعالى للصحابة وما ذكره عز وجل عن الأعراب وهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وهذه لها دلالات من أهمها اختلاف منازل الصحابة رضي الله عنهم .

فتأمل وتدبر:

في الآيات صور حية من واقع حياة الرسول ﷺ مع أصحابه الكرام.

ثانيًا - ما تضمنته الآيات من فضل الصحابة ففيها النص الصريح على النعمة الكبرى وجود النبي ﷺ بينهم ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ** ﴾ (سورة الحجرات:٧)، ماذا يعني ذلك؟ أن الوحي ينزل على الرسول ﷺ وهو معهم اتصال

بين الخلق (هذه الفئة المؤمنة) مع الخالق رب العالمين سبحانه وتعالى بواسطة الرسول الأمين ﷺ.

يأتيهم خبرهم وما هم عليه، وحتى ما في قلوبهم، والفصل في النوازل التي تنزل بهم والحكم فيها.

حتى القضايا الفردية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (سورة المجادلة: ١)، ورضي الله عن أم هانئ لما بكت على انقطاع الوحي وبكى من عندها من الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ في القصة المشهورة لما زارها الصديق ومن معه تأسيًا بزيارة النبي ﷺ لها.

ثم تأمل وفكر في الآية:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ٧)، نعم الفضل من الله جعل الإيمان في قلوبهم راسخاً فطريا ومحبتهم له أشد من محبتهم للشهوات وتأمل في التأكيد ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، وذكر ما يضاده وينقص

منه: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (سورة الحجرات: ٧)، فقد فطر الله الصحابة رضوان الله عليهم على كراهية كل ما ينقص الإيمان، الله أكبر تأمل في الآية وختامها: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (سورة الحجرات: ٧)، وفضل الله على هذه الفئة أن اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وهداهم للإيمان، وزينه في قلوبهم، وجعلهم أهلاً لصحبة الرسول ﷺ، فهم يكرهون الكفر، والفسوق، والعصيان، والحكمة بالغة جاء النص مشتملاً على الأسماء الثلاثة: الكفر، الفسوق، العصيان. فلم يترك شيئًا.

وصدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ و«الأنبياء» فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه».

نعم هذه آية لها دلالات في فضل الصحابة وعدالتهم واستحقاقهم وما لهم من فضل عند الله عزَّ وجلَّ.

تأمل في كلام المولى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، ثم عقب المولى على ذلك بقوله سبحانه: ﴿فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الحجرات:٨)، نعم صحبة الرسول نعمة من الله تفضل الله بها على أصحاب رسول الله ﷺ وهو العليم الحكيم ومن حكمته سبحانه أن اختار محمداً ﷺ رسولاً وجعله خير الرسل عليهم السلام، وكذلك اختار له أصحابًا وجعلهم خير الصحب رضي الله عنهم أجمعين، ومنزلة الصحابة لأجل الصحبة والقيام بحقوقها.

غزوة تبوك

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى (سورة التوبة) في أحداث الغزوة وما قبلها وما بعدها، وهي من أواخر ما أنزل على رسول الله ﷺ وفيها تفصيلات جليلة للمجتمع النبوي.

ودراستها مهمة جدًا لأنها نزلت بعد فتح مكة وفيها بيان لواقع المجتمع المسلم وهذا الذي يهمنا في هذه الدراسة فهو صلب الموضوع فعليك أن تتأمل وأن تتلو آيات السورة، تجد ذكر أحوال المنافقين بالتفصيل، وبيان صفاتهم وحالهم وأن من أهل المدينة مردوا على النفاق، وأنهم تخلفوا عن الخروج، ولم يشاركوا في النفقات، بل لمزوا المطوعين من المؤمنين، وأنهم أصحاب مصالح، ويبادرون للحلف، ويتمسكون بأدنى شبهة ويجعلونها حجة لهم، فهل منهم العشرة المبشرون بالجنة أو غيرهم من السابقين؟

أخي الكريم . . تأمل في صفات المنافقين وانظر فيما ذكره الله عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وعليك أن تفرح بما ذكره الله سبحانه وتعالى عن أصحاب رسول الله ﷺ وتجد في الصورة ذكر الأعراب وأنهم ليسوا سواء، بل منهم كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (سورة التوبة:٩٨)، هذا صنف من الأعراب عاصر النبي ﷺ وكذلك الصنف الآخر: ﴿ **وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (سورة التوبة:٩٩).

وتجد ذكر الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يشاركوا في جيش العسرة، والذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، التفصيلات واضحة ودقيقة وفيها بيان لواقع المجتمع ولا تجد ذكر المهاجرين والأنصار إلا بخير وذلك في القرآن كله وتجد البشارة الناصعة في الآيات المحكمة

التي شملت النبي ﷺ وأصحابه الكرام في نسق واحد إنه التلازم بين الحبيب ﷺ وأصحابه الكرام؛ اقرأ وتأمل: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: ١١٧).

هذه لجميع المهاجرين والأنصار، تأمل في التوبة عليهم أول الآية ثم في وسطها وعقب ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: ١١)، فما بالك بقوم تولاهم الله برحمته، والمولى بهم رءوف رحيم، نعم جاء في الآية التي قبلها ذكر مزايا وخصائص للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وفيها لطائف كثيرة سبق الإشارة إلى بعضها.

السؤال من هم السابقون؟ كل من صلى إلى القبلتين فهو من السابقين، وقال آخرون: كل من بايع تحت الشجرة فهو من السابقين، على كل حال فإن الآية تدل على أن

الصحابة ﷺ طبقات ولكل طبقة منزلة ومكانة وخير الصحابة هم السابقون الأولون، وهم أصحاب بدر وأحد والخندق وبعدهم أصحاب البيعة (بيعة الرضوان).

ولو أن أحدًا من هؤلاء وحاشاهم ﷺ نافق لجاء البيان، يا سبحان الله تخلفوا وصدقوا وهم ثلاث جاءت الآيات ببيان ما لهم، ويسكت الله عن غيرهم الذين فيهم الخطر وهم رأس النفاق! كما يزعم الذين في قلوبهم مرض. الدارس للسورة يجزم بأنه لا يمكن أن يوجد في المجتمع النبوي من هو مستخف على شر أو فيه خطر على الإسلام والمسلمين إلا وقد ورد ما يفضحهم في سورة التوبة ونزل كشف حالهم، كيف لا وهي السورة الفاضحة والكاشفة.

تقسيمات المجتمع من خلال السورة:

١ـ السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، قال الله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ (سورة التوبة: ١٠٠).

٢ ـ ذكر الله سبحانه وتعالى النبي والذين معه على العموم أي من السابقين ومن غيرهم من المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٨٨).

٣ ـ ذكر الله سبحانه المهاجرين والأنصار من غير ذكر الأولين وجاءت الآية الأخرى صريحة في البيان، قال الله تعالى: ﴿ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحديد: ١٠).

فهنا التفريق واضح والله سبحانه وعدهم جميعًا الحسنى والله سبحانه صاحب الفضل، وذكر المولى سبحانه أحداث أفراد من المجتمع وهم الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزوة وكذلك الذين لا يجدون ما ينفقون.

٤ ـ ذكر الله سبحانه الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، وأثنى الله على أصحاب المسجد الذي أسس على

اخي الكريم .. تأمل في معاني الآية: الرسول ﷺ يأتيه الوحي من رب السموات والأرض وهو مسدد في أفعاله وأقواله، وهو خير البشر يأتيه الأمر بمشاورة أصحابه الكرام، لهذا دلالات منها أهمية المشورة في الإسلام، والشاهد من الآية منزلة الذين شاورهم الرسول ﷺ ، نعم يدرك ذلك من كان له قلب وبصيرة، تأمل في منزلة المصطفى تدرك مكانة الذين شاورهم، وتأمل في استغفار الحبيب ﷺ لهم رضي الله عنهم فهنيئًا لهم هذا الاستغفار من الحبيب، وتلك المنزلة التي حصلوا عليها لأجل مصاحبة الرسول ﷺ .

أخي القارئ .. إن الدارس للقرآن الكريم يجد كثرة ما نزل من آيات في النبي ﷺ وأصحابه الكرام على سبيل العموم ذكرنا بعض ما نزل على سبيل الإجمال والاختصار، وفيه قناعة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.



الخاتمة

أيها القارئ الكريم . . تذكر وقوفك بين يدي الله عزَّ وجلَّ وتأمل في الآيات التي مرت بك، والمواقف التي عاشها الرسول ﷺ مع أصحابه الكرام في السراء والضراء، والرخاء والشدة . .

تأمل في سيرة الرسول ﷺ مع من قضاها؟ .

من هم طلابه الذين أخذوا العلم عنه ﷺ ؟

من هم جنده الذين حارب بهم أعداءه ﷺ ؟

من هم جلساؤه الذين يشاورهم ﷺ ؟

من هم الذين يأكل معهم ويشرب ويأنس بهم ويفرحون به ﷺ ؟

من هم الذين يزورهم ويزورونه ﷺ ؟

من هم الذين ينفقون أموالهم بين يديه ﷺ ؟

من هم الذين يبذلون أرواحهم رخيصة بين يديه ﷺ ؟

من هم الذين نقلوا القرآن عنه ﷺ ؟

من هم الذين تحملوا الرسالة وبلغوها عنه ﷺ ؟

من هم الذين صحبهم وصحبوه وعاش معهم، وبعد أن قضى حياته مات بينهم ﷺ وصلوا عليه، وحزنوا على فراقه ﷺ ، ونالوا أجر مصيبتهم في فقده كما نالوا أجر العيش معه ﷺ ؟

وبعد ...

لقد ذكر الذين وفقهم الله للتوبة من سب أصحاب رسول الله ﷺ ، والطعن فيهم ما حصل لهم من طمأنينة ولذة عيش وأنهم شعروا حقيقة لذة الإيمان.

وكيف كانت حالهم قبل توبتهم وبعدها.

عاشوا حقيقة قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (سورة الحشر: ١٠)، ارتفع الغل من قلوبهم، أحبوا آل البيت الأطهار وسائر الصحابة الكرام،

والجمع بين محبة آل البيت والصحابة عين الصواب وبه يجتمع شتات القلب ويشعر المؤمن بالسعادة والطمأنينة ويأتي بإذن الله تعالى يوم القيامة بقلب سليم.

فاحرص على سلامة قلبك، وانزع ما فيه من غلٍ «وكراهية» للمؤمنين عامة، وللصحابة ومنهم آل البيت على وجه الخصوص الذين فازوا بفضل الصحبة وحق القرابة.

اللَّهم ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم، وصلِّ الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

❑★●★❑

التقوى، فتأمل في ذكر التفصيلات الدقيقة وهؤلاء كلهم من المؤمنين.

٥ ـ وذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين وفَصَّل في أحوالهم وصفاتهم وأن منهم .. ومنهم .. وذكر صفات أفراد منهم فتأمل في ذلك، وتدبر في ذكر التفصيلات عن المؤمنين، والأعراب (وفيهم من هو مؤمن صادق ومن هو منافق كاذب) والمنافقين وكما سبق الإشارة هل يتصور عاقل أن ترد تلك التفصيلات ويتم السكوت عن من هو أخطر؟

قبل الختام

قال الله تعـالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ (سورة الكهف:٢٨)، الله عزَّ وجلَّ يأمر نبيـه بالصبر مع طائفة من أصحابه.

تأمل في الآية، وانظـر إلى هذا الشـرف.. النبي ﷺ مع منزلته يأمره الله بالصبر مع الذين يدعون ربهم. من هم هؤلاء؟! إنه التلازم بين النبي وأصحابه الكرام.

وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (سورة آل عمران:١٥٩)، من رحمة الله ما حصل للصحابة من لين رسـول الله ﷺ لهم واستغفاره لهم والدعاء لهم ومشاورتهم..

الفهرس

الموضـــوع صفحة